

حالة من السيولة التي تكتسحها ولكنها لا يمكنها أن تُشبع تطلعاته الإنسانية المركبة التي تعبر عن الجانب الرباني فيه وعن القبس الإلهي داخله، ولذا فهو يدرك أن حل مشكلته لا يمكن أن يكون مزيداً من اللذة التي تؤدي إلى فقدانه حدوده ووعيه وأبعاده الاجتماعية (التمركز حول الذات الذي يؤدي إلى ذوبان الذات وانتصار الموضوع). ومع هذا، لا يوجد أمامه حل في المجتمعات العلمانية سوى هذا الحل الرحمي الكموني الاختزالي البسيط. ولذا، لا يمكن أن يظل علاج مرض الإنسان الحديث هو الاستمرار في المرض، أي أن يتمركز حول ذاته ويحققها، إذ إن الإنسان يكتشف أن تعظيم اللذة بشكل مستمر، والعودة للرحم، يؤدي إلى اختفائه ككائن حر، كما أنه مسألة مستحيلة؛ إذ إن وعيه الفلسفي وحسه الخلفي والجمالي أصبح صفات لصيقة بإنسانيته. ومع اكتشافه هذا، فإنه يحاول الاحتجاج ويخفق، فكل المؤسسات ضده، والتوجه العام للمجتمعات العلمانية الحديثة معادية، ولذا فإنه يدخل محارة جيتوية من صنعه بديلاً عن الرحم المستحيل.

ولعل المطلوب هو أن يدرك الإنسان حدوده وتركيبته ومقدرته على التجاوز، فيعرف أنه يُولد من رحم أمه ولكنه لا يعود إليها، وأنه جزء من الطبيعة/المادة ولكنه لا يُرد لها، فهو ليس بإنسان طبيعي/مادي وإنما إنسان طبيعي رباني، وأنه يعيش في الطبيعة والزمان ولكن توجد داخله عناصر (قبس إلهي) لا يمكن أن تُرد إلى النظام الزماني والطبيعي، وأنه ينمو، ويحب، ويكره، وينتصر، وينهزم، ويفرح، ويحزن. . ثم يموت، وأن حياته ليست مجرد حلقات متكررة توجد في عالم المادة، وإنما لها معنى، لأن هناك نقطة نهائية متجاوزة.

المادية النهائية أو نهائية المادية:

تحدثنا حتى الآن عن المادية الصلبة (وعبادة الجسد)، والمادية السائلة (وعبادة الجنس). ولكن يبدو أن الصور المجازية العضوية الأساسية في الحضارة الغربية تتطور إلى درجة أكثر تطرفاً من ذلك مع تصاعد معدلات الحلولية والسيولة والعدمية.